أفعال الكلام في نماذج تطبيقية
(دراسة تداولية)

م. د. عمار يوسف عبد الحسن

Ammar Youssef Abdulhassan

ammar.y@uosamarra.edu.iq

ملخص

ينطلق بحثنا هذا من نظرية مهمة وهي نظرية أفعال الكلام، التي تدرس تأثير الأفعال ومدى قدرتها على إيصال الخطاب بمجمله العام والخاص، مستثمرين التداولية وكيفية استعمال المفردة وتداولها في الخطاب، مقابل وجودها الوضعي في اللغة، وقد اخترنا واقعة الطف مضمارا للتطبيق لما لهذه الواقعة من أهمية تاريخية كبرى، ألقت بظلالها على جميع الأصعدة اللاحقية (الدينية، السياسية، الاجتماعية).

Mulakhas:

yantaliq bahathna fi hadha min nazariat wahi nazariat mabadi mabda aljumli, alati tadrus altaathir wamadaa alqudrat ealaa ʻiisal alkhitab bijumalih aleami fielia, mustathmirin lileabi-at wakayfiat aistikhdam almufradat watadawuliha fi alkhatabi, muqabil wujud.

المقدمة

تعد واقعة الطف واحدة من أهم الأحداث التاريخية والدينية في الإسلام، حيث شهدت معركة كربلاء استشهاد الإمام (الحسين، بن علي (ع) وأصحابه عام ٦١ هـ. تميزت هذه الواقعة بكثافة الكلام والخطابات التي ألقيت من قبل شخصيات مختلفة مثل الإمام (الحسين) ، وأصحابه، وخصومه. تعتبر هذه الخطابات ليست مجرد أقوال عابرة، بل إنها تحمل في طياتها أفعالاً كلامية متنوعة تؤدي أدواراً حاسمة في سياقها التاريخي والديني.

إن دراسة أفعال الكلام في واقعة الطف من منظور تداولي توفر لنا فهماً أعمق لأبعاد هذه الخطابات، وما تحمله من معانٍ ومقاصد. إذ تتيح لنا التحليل التداولي الكشف عن الطرق التي استخدم بها المتحدثون أفعال الكلام للتأثير في مستمعيهم، وتحقيق أهدافهم الدينية والسياسية. سنركز في هذه الدراسة على تحليل الأنواع المختلفة لأفعال الكلام المستخدمة في هذه الواقعة، مثل الأوامر، والوعود، والتحديات، والتوسلات، ونستعرض كيف ساهمت هذه الأفعال في تشكيل مسار الأحداث وإيصال الرسائل الجوهرية.

سوف تتناول هذه الدراسة المنهج التداولي كإطار نظري للتحليل، مع التركيز على أبرز النظريات والمفاهيم التي قدمها الباحثون في هذا المجال. كما سنعتمد على مصادر تاريخية وأدبية متنوعة لتوثيق وتحليل النصوص المتعلقة بواقعة الطف، بهدف تقديم رؤية شاملة ومتعمقة لأفعال الكلام في هذا الحدث الجلل.

المبحث الأول
نظرية أفعال الكلام مفهومها، نشأتها، وأنواعها

تكتسي الأفعال الكلامية قيمة بارزة وأهمية كبيرة في الدراسات اللّغوية المعاصرة، وذلك بوصفها تُمثل البنية الصغرى التي يتعين على المحلل اللغوي أولا تحليها والوقوف على طبيعتها قبل الانتقال الى تحليل البنية الكبرى المتمثلة في مختلف الخطابات والأداءات الكلامية المتنوعة.

ودارسة هذه الأفعال وما تُوديه من إبلاغ، وتأثير، وإنجاز من صميم البحث التداولي، فاللغة على حدّ أفعال الكلام ليست وصفا وتمثيلا للعالم فحسب، وإنما هي في الحقيقة إنجاز أفعال ضمن سياقات مُحايثة للمتكلمين.

مفهوم أفعال الكلام:

نظرية أفعال الكلام من أهم روافد واتجاهات الدرس التداولي المعاصر، حيث تعتبر في تجديد الفكر الفلسفي واللساني بوجه عامّ، والتي تدعو الى إعادة تنظيم منطق اللغات الطبيعية على ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة، والمميز في هذه جدة مصطلحها ومناهجها. «ويطلق عليها أيضا الحدث الكلامي، أو الحدث اللغوي، والإنجازية، وهي جزء من التداولية في نظر أغلب الباحثين، وبخاصة في مرحلتيها الأساسيتين: مرحلة التأسيس عند «أوستن»، ومرحلة النضج والضبط عند تلميذه «سيرل»[١]. ويتجسد هذا التصور عند «أوستن» من خلال قوله أنّ الفعل هو الإنجاز.

واللغة عند أصحاب هذه النظرية «أداء أعمال مختلفة في أن واحد، وما القول إلا واحد منها، فعندما يتحدث المتكلم فإنه في الواقع يخبر عن شيء، أو يصرح تصريحا ما، أو يأمر، أو ينهى، أو يلتمس، أو يعد، أو يشكر، أو يعتذر، أو يحذر، أو يدعو، أو يسمي، أو يستغفر[٢]».

فاللغة حسبها إذن مجموع أداءات قولية مختلفة، مفادها الإخبار أو الإفصاح عن أشياء ما، أو الدعوة إلى فعل أمور ما، أو التهي والتحذير من فعل أمور ما.

---

(١) ينظر: في البرجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياق، علي محمود حجي الصراف، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، ط١، ٢٠١٠، ٢٦.

(٢) مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٤، ٣٤.

وتجعل هذه النظرية عملية التخاطب مرتبطة أساسا بالمواقف والسياقات المراد التعبير عنها، وفهم المتلقي قصد المتكلم هو أساس نجاح عملية التخاطب، فهي «تنظر إلى عملية التخاطب على أنها مخاطبة مرتبطة بموقف تعبر عنه، فالطلب مثلا يعبر عن رغبة في شيء ما، والمدح يعبر عن رضى، وبعثر الشكر عن امتنان، في حين يعتبر الاعتذار عن ندم. ويقاس نجاح التخاطب وفقا لهذه النظرية بمدى اكتشاف المتلقي الموقف المعبر عنه من خلال فهمه قصد المتكلم والتفاعل معه» (١).

تأسست نظرية أفعال الكلام العامة على يد الفيلسوف الإنجليزي «جون أوستن» في مجموع محاضراته التي ألقاها في العقد الثالث من القرن العشرين في جامعة أكسفورد، وكذا مع «محاضرات «وليام جيمس» (William James Lectures) التي قدمها في هارفارد (Harvard) سنة ١٩٥٥م، ونشرت بعنوان كيف تصنع الأشياء بالكلمات؟ How to do thingswithword) (٢).

ولم تنشأ هذه النظرية من فراغ، وإنما تأثرت بما قام به فيتحنشتاين»، حيث «استند مؤسساها فيلسوفا اللغة «أوسان» و»سيول» إلى فرضية «فيتحنشتاين» (Wittgenstein) التي اشتهرت آنذاك، حيث يكون معنى الكلمة وفقا لها هو استخدامها، وأن ما هو براجماتي إذن هو الذي يحدد المعنى الحقيقي للكلمات والوحدات اللغوية آخر الأمر. فالكلام نبعا لذلك يمكن أن يوصف بأنه عمل أو نشاط أو فعل، ويتوقف على ذلك أساسا بحيث ما يمكن أن يتحقق بمساعدة الفعل اللغوي» (٣).

أي أن المعنى الحقيقي للأفعال اللغوية يكمن في استخدامها، وأن معنى الكلمة يتحقق فقط إذا أثبتت فعاليتها في التواصل.

دراسة تطبيقية لأفعال الكلام في واقعة الطف:

نجد الإمام (الحسين) ، في واقعة الطف يتحدث عن سبب خروجه ولم يزل خصمه يمضي الكثير بمنصب الخلافة، علما أن الدين الإسلامي موجود كمفهوم مع وجود الكثير من الثوابت التي تدعمه، وهذا يفسر لنا طبيعة الانحراف الذي أراد الإمام (الحسين) ، إصلاحه ودعوته

(١) مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ٣٤.

(٢) القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وأن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف: عز الدين المجذوب، مرا: خالد ميلاد، دار سيناترا، تونس، دط، ٢٠١٠، ٥٦.

(٣) مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هاينه مان وديتر فيهجر، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة-مصر، ط١، ٢٠٠٤، ٥٤.

التي هي أعم من أن نحددها بإصلاح الدين بعد تحريفه وتزييفه ، وإن كان الأمر كذلك لكان (الحسين)، وجوده وعدم خروجه أهم من ذهابه إلى الكوفة ولتعامل مع الموقف بما يضمن نشر التعاليم الإسلامية، كما فعل أبيه (علي ابن أبي طالب)، وغيره من الأئمة مع وجود الحكام الفاسدين(١).

خروجه، لم يكن للدين نفسه بمقدار ما خروجه لأحياء قيمة هذا الدين وغايته فخروج (الحسين)، إلى العراق لا يفسر فقط الاختلاف مع أشخاص يجد أنهم ليس مؤهلين لقيادة الأمة، بل كان خروجه أيضا ليمثل قوة فكرية معارضه لقوة أخرى هيمنت على الأمة أن ذاك وفرضت سيطرتها وتم التسليم لها.

«النشاط البشري -كما يرى هيجل- بما في ذلك أعمال الرجال العظام ليس إلا مجرد وسيلة لتحقيق غاية ولكن ذلك كله ليس إلا دوراً جزئياً ثانوياً في إطار كلي عام، فليس موضوع التاريخ أفعال جزئيين، إنما موضوعه ذلك الصراع بين العوامل والقوى المتعارضة ووعي الروح بذاتها، بل تحقيق لذاتها من خلال هذا الصراع»(٢).

الأمر الذي يجعلنا نقف لنتساءل: لماذا (الحسين)، تصرف وبعث رسولاً إلى زهير بن اليقين يطلبه اللقاء على الرغم من أن زهير لم يكم من اصحابه، كما تقول الروايا(٣).

ويظهر اختلافه مع وجهة النظر مع (الحسين) ، وكما جاء في رواية الطبري عن أبي مخنف، قال أبو مخنف : حدثني السدي عن رجل من بني فزارة، لما كان زمن الحجاج بن يوسف كنا في دار الحارث بن أبي ربيعة مختبئين فيها، فقلت للفزاري: حدثني عنكم حين أقبلتم مع (الحسين)، بن علي، قال: كنا مع زهير بن القين البجلي، حين اقبلنا من مكة نساير (الحسين)، فلم يكن شي ابغض إلينا من أن نسايره، فإذا سار (الحسين) ، تخلف زهير بن اليقين، وإذا نزل (الحسين) ، تقدم زهير، حتى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بُداً من أن ننازله فيه(٤).

---

(١) ينظر: تاريخ العرب، مير علي السيد، ترجمة: رياض رأفت، مصر، ١٩٣٨م، ٥٤.

(٢) المفصل في فلسفة التاريخ (دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأملية والنقدية)، هاشم يحيى الملاح، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٧١، ١٨٠.

(٣) تاريخ العرب: ٦٥.

(٤) ينظر: تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، دار التراث - بيروت، ط٢، ١٣٣٧هـ، ٣٩٦/٥.

فنزل (الحسين) ، في جانب ونزلنا في جانب فبينما نحن جلوس نتغدى من طعام لنا آذ اقبل رسول (الحسين) ، حتى سلم ثم دخل فقال: يا زهير بن اليقين أن أبا عبد الله (الحسين) ، ابن علي، بعثني إليك لتأتيه. وقال ابن مخنف: فحدثتني دلهم بنت عمرو، امرأة زهير ابن القين، قالت: فقلت له: أيبعث إليك أبن رسول الله ثم لا تأتيه، سبحان الله، لو أتيته فسمعت من كلامه، ثم انصرفت [١].

قالت: فاتاه زهير ابن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه.

قالت: فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه، فقدم وحمل إلى (الحسين) ، ويظهر لنا من ذلك اللقاء، أن عدول زهير ابن اليقين وتغييره لرأيه وانضمامه لمعسكر الإمام (الحسين) ، بلقاء لم يدم طويلا ما أن لبث أن جاء مستبشرا، مدى التوافق والتشابه، والاقتناع بالهدف أو الغاية التي يشترك بها كل من الطرفين، وما يهمهما وهي أسمى من أن لا يقف زهير مع الإمام (الحسين) ، لمجرد انه يختلف معه في المذهب ووجهات النظر [٢].

كان سبب انحراف زهير (رحمه الله) عن (الحسين) ، حجاب في الرأي والفهم، ولم يكن هذا الحجاب من نوع الهوى، وفتن الحياة الدنيا، فلما تبين له الحق، واتضح له خطأه في الرأي والتقدير، لم يتردد لحظه واحدة في تغيير مسار حياته، فتوافق الرؤى بعد لقاء زهير مع الإمام (الحسين) ، أيضا أوضح مدى (الانحراف) الذي لا ينسجم مع الإطار العام للسلام ومع شرائع الأديان الأخرى، وهذا ما اتضح من كلام زهير ابن القين، عندما خاطبه عزره بن قيس وهو احد أفراد جيش ابن سعد يذكره بأنه ليس من شيعة هذا البيت [٣].

فأجابه زهير: «فلما رأيته ذكرت به رسول الله، صلى الله عليه وآله، ومكانه منه وعرفت ما يقدم عليه عدوه (الانحراف) وحزبكم، فرأيت أن انصره وان أكون في حزبه وان اجعل نفسي دون نفسه حفظا لما ضيعتم من حق الله وحق رسوله»[٤].

---

(١) ينظر: الحسين بن علي (ع) والنظام السياسي في الإسلام بين البستمولوجيا والمثال، طالب ياسر، دار ومكتبة البصائر، بيروت- لبنان، ٢٠١٠م-١٤٣١، ٧٦.

(٢) أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، السيد محسن الأمين، دار العارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤٣٠هـ-١٩٨٣م، ٨٩/٧.

(٣) ينظر: حياة الإمام الحسين ابن علي (ع)، باقر شريف القرشي، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ط٢، كربلاء، ١٤٠٩هـ- ٨٠/٣.

(٤) تاريخ الطبري: ٥/ ٣١٥-٣١٦.

وهنا فضلا عما أوضحه من الانحراف وما قدم عليه العدو لمواجهة الإمام (الحسين) ، أوضح أن المعركة ليس بين حكام وطلاب سلطة أو مال بقدر ما هي بين أحزاب (.. وحزبكم...وان أكون في حزبه) (١).

وكما نعرف أن لكل حزبٍ أهدافه وغايته، وهذا ما جعل زهير ينظم إلى هذا الحزب وهي الغاية التي نريد أن نصل إليها من خلال استعراضنا لطبيعة التحرك الذي مارسه (الحسين) ، في واقعة الطف الأليمة، كما أنه الأمر نفسه الذي جعل وهب النصراني من أن ينظم إلى معسكره لأنه، تحدث بالخطوط العامة والحقوق التي تكفل كرامة الإنسانية وحفظها، «ويتضح ذلك جلياً مما جاء في الوثيقة، التي خطبها الإمام (الحسين) ، أمام أول كتيبة للجيش الأموي:

«يا أيها الناس أني سمعت رسول الله، قال: من رأى سلطانا جائرا، مستحلاً لحرم الله، ناكثا لعهده، مخالفا لسنة رسوله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله» (٢).

يدخل ضمنها كل مذاهب بني الإنسان بغض النظر عن دينه وانتماءه، فهو الإمام الذي لا ينظر إلى عرق معين ولا يميل إلى جهة خاصة ومحسوبة بل ينظر إلى الناس كافة بعين الخالق فهو الإنسان الرباني الذي تخطى شي اسمه الإسلام، أو المسيحية، أو اليهودية وموقفه مع كل ما يقع تحت مفهوم الحق الذي بتحقيقه يحصل العدل الشامل للكل. من هنا كان جانب الرفض في الخطاب (الحسين) ، وهو رفض مدروس يهدف إلى الإصلاح في البنية الاجتماعية والسياسية والدينية، ويلتقي هذا الرفض مع هدف الإمام من خروجه وهو طلب الإصلاح في امة جده، ويطابق تماما المسار الذي رسمه الإمام (الحسين) ، لثورته ضد الظلم والانحراف، لذا نجد في خطابه طائفة من التراكيب عبر بها الإمام عن الرفض المطلق لكثير من التوجهات في الجانب السياسي والجانب الديني والاجتماعي (٣).

---

(١) ينظر: في رحاب الإمام الحسين (ع) يوم عاشوراء، محمد نهدي الآصفي، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت(ع) مطبعة ليلى، ط١، ١٤٧هـ.

(٢) الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين (ع)، عبد الكريم القزويني، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ط٧، كربلاء، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

(٣) ينظر: الخطاب الحسيني في معركة الطف، عبد الكاظم محسن الياسري، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ط١،كربلاء، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ٧٨.

وهذا ما جعل الحر يعود بأدراجه ليطلب التوبة من (الحسين) ، لأنه رأى فيه الإمام الكريم، الرحيم، الناصح الذي تعامل بكل رقه وإحسان ورحمه يسقيه تارة وينصحه تارة أخرى، وهذا ما جعل الحر يقف أمام شخصية لا تتعامل مع الآخرين على أساس الانتماء ولم تجازي على أساس الموقف المقدم لها وبدل أن يأخذ موقف من الحر الرياحي وهو قادما إليه بألف فارس ليجعع به وينزله بالعراء على غير ماء وغير حصن نجده عليه السلام.

يذكر البلارذي في كتابه: «وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر ابن يزيد حتى وقف الحر وخيله مقابل (الحسين) ، وذلك في حر الظهيرة، فقال (الحسين) ، لفتيانه: أسقوا القوم وأرووهم ورشفوا الخيل ترشيفاء ففعلوا»[١].

كما نجده، يخير خصومه في أن يصلي بصلاته، أو يصلي بأصحابه ويصلي الإمام بأصحابه، وهذا إن دل على شيء، إنما يدل على أدب اللقاء وشموليته بما يضمن مصلحة الطرفين والأخذ بالاعتبار موضع حرج الطرف الأخر بالاستجابة له بعيداً عن المنازلة وسفك الدماء، الأمر الذي جعله يلتفت الى الحر فيقول له سر بنا حتى نزلوا بالمكان المعروف وهو ارض كربلاء ارض المعركة. «فهل يستطيع أحد والحالة هذه على مقابلته ومحاربته لولا غلبة الهوى والتناهي في الطغيان وضعف النفوس ولذلك كان الجمع الكثير يتسلل إذا وصل كربلاء ولم يبقى آلا القليل[٢]".

وكل هذه الأفعال لا تكشف لنا عن جوهر هذه الشخصية المثالية فحسب بل ما يحاول أحيائه في أمه مات فيها صوت الحق واندثرت بغطاء الجهل وغرقت بشهوات النفس فهي أمه بحاجه إلى من يزيل عنها كل هذا الاندثار وليعيد لها روحها وجوهرها الإنساني، وان كان تعامل (الحسين) ، جعل من عدوا صديقا فكيف بأصحابه وهم يحفون به ويرونه ويسمعونه وهو يمثل أمامهم من أعظم المواقف الإنسانية في معركة الطف.

(١) البلارذي، أنساب الأشراف، pdf-www.almostafa.com.

(٢) البلارذي، أنساب الأشراف، 154، pdf-www.almostafa.com.

المبحث الثاني
التداوليّة

التداوليّة منهج نشأ وترعرع في الفكر الغربي، وهو ترجمة لقولهم: (pragmatics) في الإنكليزية، و(pragmatique) في الفرنسية، وليس ترجمة لمصطلح (lepragmatisme) الفرنسي؛ لأنّ هذا الأخير يعني(الفلسفة النفعيّة الذرائعيّة) ولذلك لا يتفق أكثر الباحثين مع الذين يترجمون هذين المصطلحين بالذرائعيّة أو غيرها من المصطلحات المتحاقلة معها[١]، وقد رافق انتقاله إلى الأبحاث اللسانيّة العربيّة عدد من المصطلحات التي تشير إلى ماهيته قرباً وبعداً؛ بفعل الترجمة وتنوّع وجهات النظر في وصفه، فترجم بـ: التداوليّة، والذرائعيّة، وفلسفة الفعل، وعلم المقاصد، والنفعيّة، والبراغماتيّة البراكماتيّة، والبراجماتيّة اللسانيّة، والفعليّات، والسياقيّة، والوظيفيّة، وعلم التخاطب، والتبادليّة[٢]، غير أنَّ مصطلح التداوليّة الذي رقمه الدكتور طه عبد الرحمن في عام ١٩٧٠م، كان الأكثر استعمالاً بين الدارسين؛ «لأنّه يوفي المطلوب حقّه، باعتبار دلالته على معنيي الاستعمال والتفاعل معاً»[٣]، كما لا يخفى ما يتصف به من الخفّة والسلاسة[٤]، وعضد هذه الترجمة الدكتور إدريس مقبول، بقوله: «وإن كان البعض من إخواننا الباحثين - خاصّة في المشرق - ما يزالون يستعملون مقابلات مختلفة وملبسة وترجمات غير موفّقة، مثل: الذرائعيّة والبرجماتيّة والنفعيّة والوظائفيّة وعلم التخاطب إلخ. وكلّها لا ترقى في نظرنا لترجمة الأستاذ طه عبد الرحمن»[٥]، إلّا أنّ هناك من يفضّل ترجمته بـ (علم التخاطب)، وهو ما ذهب إليه الدكتور محمد محمد يونس، بقوله: «أُفضّل ترجمة مصطلح Pragmatics بعلم التخاطب، وليس بالتداوليّة...، والواقع أنّ المصطلح الأوّل يُطلق على الدراسات التي تُعنى بالمعنى في السياقات الفعليّة للكلام،

(١) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاص، محمد أحمد نحلة: ٩، وينظر: التداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللساني، مسعود صحراوي، ١٥.

(٢) ينظر: مقدّمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد محمد علي، ٧، وينظر: التداوليّات وتحليل الخطاب، جميل حمداوي، ٦.

(٣) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، عبد الرحمن طه، ٢٨.

(٤) يُنظر: مدخل إلى اللسانيّات التداوليّة، الجيلاني دلاش، ١.

(٥) الأفق التداولي، نظريّة المعنى والسياق في الممارسة التراثيّة العربيّة، أدريس مقبول، ٨.

وهو ما يتّفق مع معناها الحرفي، وهو(علم الاستعمال) وإذا نظرنا في تراثنا البلاغي، والأصولي فسنلحظ أنّ الاستعمال ـ الذي يقابل الوضع عادة- ، يطلق على النشاط الذي يقوم به المتكلّم في عمليّة التخاطب؛ و أنّ مصطلح (التداوليّة) هو المعتمد والأكثر شيوعاً بين الباحثين، مما دخل في دائرة الاستعمال والشهرة التي هي قوام نجاح المصطلح.

ب ـ النشأة:

وإذا تركنا المصطلح لنبحث عن نشأتها، ومراحل تطوّرها، نجدها قد ظهرت في الولايات المتّحدة الأمريكيّة في القرن التاسع عشر، وتطوّرت بعد الحرب العالميّة الثانية مباشرة، فتمخّضت عن سيميائيّة شارل ساندرس بيرس ch. s. pearce[٣٧] (١٨٣٤ ـ ١٩١٤) الذي اهتمّ بتداوليّة سيميائيّة قائمة على نظام العلامات، حيث ميّز بين الرمز، والإشارة، والأيقونة، وألزم بوضوح الدراسة اللغوية بالمنظور التواصلي والدلائلي الذي يسم المقاربة التداوليّة التي تعنى (بورود العلامة)، ليفسح المجال في توسيع هذا الطرح لمن جاء بعده، وتحديداً عند أكثرهم تأثّراً به الفيلسوف شارل موريس[١] ليميّز بين ثلاثة مظاهر في اللغة الطبيعيّة: المظهر التركيبي، والمظهر الدلالي، والمظهر التداولي، وبذلك بشّر موريس بالمقاربة التداوليّة ـ نظريّاً ومنهجيّاً ـ التي تعنى بالوظيفة السياقيّة إذ جاءت ردّة فعل على المناهج الشكليّة بوصفها ـ المناهج الشكليّة ـ ترتكز على التركيب والدلالة وتقصي الوظيفة الاستعمالية السياقية، وهي وظيفة ضروريّة لاكتمال الفهم الحقيقي المتعلّق باللغة الإنسانيّة[٢].

(١) يرس ١٨٣٩.١٩٢٤: فيلسوف وسيميائي أمريكي، من الروّاد الأوائل للفلسفة البراغماتيّة Pragmatisme، التي تقوم على محورين اثنين: مشكلة المعنى، الذي حاول الإجابة فيه عن السؤال: متى يكو ن للعبارة معنى؟، ومشكلة الاعتقاد، الذي بحث فيه عن ماهيّة الاعتقاد، وما هو التحليل الصحيح للاعتقاد المتعلّق بأشياء العالم الخارجي؟ وقد ربط التفكير بالعلامة، من أهمّ مؤلّفاته: مجموعة الأبحاث، ونصوص أساسيّة في السيميائيّات، وكيف نجعل أفكارنا واضحة؟ يُنظر: فيلي، فلسفة التواصل، جان مارك، ٢٥.

(٢) شارلز موريس١٩٠١ وهو فيلسوف أمريكي، عني بقضايا الدلالة المنطقيّة والسيميولوجيا، من خلال كتابه أسس نظريّة الرموز سنة ١٩٣٨. يُنظر: المصطلحات الأساسيّة في لسانيّات النصّ وتحليل الخطاب، نعمان بوقرة، ١٦٩.

مفهوم التداولية:

ورد آن للدراسة أن تلج في خضمّ التعريفات التي وصفت التداوليّة، ولا غرابة في تعدّدها وتنوّعها؛ ولعلّ ذلك التنوّع مصدره أمران: طبيعة التداوليّة بوصفها تمتح من عدّة مشارب فلسفيّة وسيميائيّة، ومرجعيّات دارسيها التي تشكّل خلفياتهم الثقافيّة، فحدّها الفيلسوف، وعالم النفس، والاجتماع، وغيرهم ممّا جعل مفهوم التداوليّة يشيء بانتمائه إلى تخصّصات وعلوم معرفيّة أُخرى، فالتداوليّة تشغل اهتمام اللسانيين، والبلاغيين، وعلماء التواصل، وعلماء الاجتماع على حدٍّ سواء[١]، وإن كان ذلك فلا بدّ لنا من قراءة بعض ما قيل في تعريفها، ونعرّج من منطلقها اللغوي:

١. تعريفها في اللغة:

ورد في معجم أساس البلاغة للزمخشريّ: «دَوَلَ: دالت لهُ الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوّهم، جعل الكثرة لهم عليه...، وأُدِيل المؤمنون على المشركين يوم بدر...، والله يداول الأيّام بين الناس مرّة لهم ومرّة عليهم...، وتداولوا الشيء بينهم»[٢]، وقيل: «تداولنا الأمر، أخذناهُ بالدُّول، وقالوا: دواليك، أي: مداولة على الأمر...، ودالت الأيّام أي: دارت...، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرّة وهذه مرّة...، ويُقالُ: تداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى تعاورناه، فعمل هذا مرّة وهذا مرّة»[٣]، فهي تدور بين التحوّل والانتقال، وتلك حال اللغة من منظورها التداوليّ، متحوّلة ومتبادلة ومتنقّلة أثناء التواصل لتأدية وظائفها التعامليّة والتفاعليّة بين أطراف العمليّة التحاوريّة[٤].

٢. في الاصطلاح:

أمّا في الاصطلاح، فيطالعنا الفيلسوف والسيميائي تشارلز موريس charles mouris سنة ١٩٣٨م، بتعريف لها، وذلك في مقال له كتبه في موسوعة علميّة، ركّز فيه على مختلف التخصّصات التي تعالج اللغة، وهي: التركيب: الذي يهتمّ بدراسة العلاقات بين العلامات التي تكوّن الجمل، وعلم الدلالة الذي يدرس العلاقة بين العلامات والأشياء التي تؤول إليها هذه العلامات، والتداوليّة التي

(١) ينظر: آفاق جديدة، محمود أحمد نحلة، ١١.١٠، وينظر: التداوليّة عند العلماء العرب: ١٦.

(٢) أساس البلاغة، محمود بن عمرو الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٨م ٣٠٣/١.

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، مادّة دول، ٢/ ١٤٥٦.

(٤) يُنظر: في اللسانيّات التداوليّة مع محاولة تأصيليّة في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، ١٤٨.

تعالج العلاقة بين العلامة ومفسّريها [١]، ولا يخفى ما يكتنف هذا التعريف من عموميّة؛ وذلك لاشتماله على الأنساق اللسانيّة وغير اللسانيّة [٢].

أمّا فرانسواز أرمينكو FrancoiseArmingaud فتنيط بالتداوليّة كل ما يتعلّق بعلاقة الملفوظ بالشروط الأكثر عموميّة عند المخاطب، وهي بذلك تدخل طبيعة ثقافة المتلقّي العامّة ليفقه الملفوظ، فهي: «دراسة الشروط القبليّة للتواصليّة كما هي، فلا يوجد لها طابع يرتبط بالظروف التجريبيّة، بل بشروط تواصليّة عامّة، وهي ترتبط بكلّيات الاستعمال التواصلي عامّة» [٣].

الدارسة التداولية في خطبة الإمام (الحسين) ، علية السلام في واقعة الطف

تميزت الخطبة بميزات لغوية جعلت منها بحثاً للدراسة التداولية وقد تمثلت التداولية في بنية التركيب الذي تميزت بالفعل القولي، والتأثيري في الأساليب الآتية:

١- التداولية في الحجاج الخطابي وهو «استراتيجية تواصلية إلى التأثير في الآخر بالاعتماد على تمثلات حجاجية تكون في شكل أفكار وآراء، وبهذا المعنى يصبح الحجاج شكلاً أو نظاماً تواصلياً يتفاعل فيه ما هو لفظي بما هو غير لفظي، وسيلته اللغة وغايته الإقناع»[٤]، وقد تضمنت خطبة الإمام (الحسين) ، الله وسيلة من وسائل الحجاج هو القياس الخطابي وهو «آلية من آليات الذهن البشري، تقوم بالربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما للوصول إلى استنتاج ما، بألفاظ فيها شيء من الالتباس والاشتراك، بناء على أن القياس يقوم على التجربة التي ينطلق منها المتكلم لتشكيل صورة استدلالية»[٥]، وظهر ذلك في ذكر الإمام الله بعد الحمد والثناء الله سبحانه وتعالى قول الرسول بتغيير السلطان الجائر من طريق المسؤولية الملقاة على عاتقه بوصفه الإمام المسؤول عن الرعية في التنبيه على المخاطبين بضرورة التغيير بالتصدي والجهاد وليس بالخضوع والخنوع للحاكم الجائر، «وهذا المقام يتطلب حجاجاً ليقوم بهذه الوظيفة، حيث تضمنت الخطبة قياساً خطابياً مشتملاً على أنه رأى سلطاناً جائراً ولم يغير منكره ناله العقاب

(١) يُنظر: آفاق جديدة: ٩، وينظر: التداوليّة اليوم: ص٢٩.

(٢) يُنظر: الأسس الإبستمولوجيّة والتداوليّة: ٢٦٢.

(٣) المقاربة التداوليّة، ٨٤.

(٤) الحجاج في النص القرآني- سورة الأنبياء أنموذج- سورة الأنبياء أنموذج-: أيمان الدروني: ٤٩، وينظر: بلاغة الأقناع قراءة حجاجيه في خطبة الإمام الحسين عليه السلام، رائد حاكم الكعبي: ٢٨.

(٥) الحجاج في كتاب الامتناع والمؤانسة، حسن بوبلوطة، ٩٩.

وخرجوا عن طريق الرحمن وساروا في طريق الشيطان»[١] ، والنتيجة من هاتين المقدمتين هي وجوب تغيير الحكام لخروجهم عن طريق الحق، وتحقيق ذلك بالاعتماد على البيعة والنصرة التي تلقاها (الحسين) (ع).

٢- التداولية في أسلوب النداء: جاءت كلمة (النداء) - بكسر النون - في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَصلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَمِل بِمَا لا يسمع إلا دعاءَ وَبَدَاءَ مُوا بُكُمْ عَني فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ) سورة البقرة ١٧١، (واشتقاقه من ندى الصوت وهو بعده). أي بمعنى الصوت الذي يستعمل الداء البعيد.

أما النحويون فقد عرفوه بأنه «طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف مخصوص»[٢] ، أو هو: «طلب الإقبال يحرف نائب مناب أدعو ملفوظ به أو مقدر والمراد بالإقبال ما يشمل الإقبال الحقيقي والمجازي المقصود به الإجابة كما في نحو : يا الله»[٣] ، أو هو : «تنبيه المدعو ليقبل عليك»[٤]، أو «التصويت بالمنادى ليعطف على المنادي»[٥]، وقد جاء في قوله (أيها الناس) التي تدل على العموم مع إفادة التنبيه إذ قال الله: (أيها الناس) ولم يقل (أيها العسكر) أو (أيها الجيش على الرغم من أن المخاطبين هم الجيش من الحر الله وأصحابه فقد حقق هذا الفعل القولي إنجازا خطابياً تأثيراً لجذب انتباه السامعين.

٣- التداولية في بنية التركيب التي تمثلت بالتوكيد: وهو تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات[٦] والتصريح بقول الرسول الله مما زاد في قوة المحاججة التي أفادت التذكير والتحذير في آن واحد بعد مخاطبتهم بلفظ (الناس) وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى (وما أرسلناك إلا كافة الناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) سبأ / ٢٨ ، فهو رسول للناس كافة، وذكرهم يقول الرسول ولم يقل الجدي، كما ذكرهم بقول الرسول المناهض للجور والظلم ومقارعة السلطان الجائر ليبين لهم من حيث لا يعلمون العلة من مجيئه

(١) بلاغة الإقناع قراءة حجاجيه في خطبة الإمام الحسين عليه السلام، رائد حاكم الكعبي، ٢٩.
(٢) شرح الأشموني، الأشموني، ج٢، ١٣٥.
(٣) البرهان في علوم القران الزركشي، ج٢، ٣٢٣.
(٤) حاشية الصبان على شرح الأشموني، ج٣، ١٣٣.
(٥) الأصول، ابن السراج، ج١، ٣٢٩، وينظر شرح ابن المفصل، ابن يعيش، ج٨، ١٢٠.
(٦) ينظر: مقتل الحسين ، ج١، ٣٣٥.

لتتضح الصورة وجوابها عن السؤال الذي يختلج في صدور بعض السامعين والقارئين في قوله : «... إن رسول الله ﷺ قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل، ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله» (١).

٤- التداولية في بنية التركيب الخبري لبيان ما عليه القوم من الاضطهاد والظلم والعدوان والفساد في الطاعة الشيطان وترك الطاعة الرحمن سابقاً ذلك بأداة العرض (ألا) في قوله الملكة: «.... ألا وإن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله» (٢).

٥- التداولية في التقابل الدلالي التركيبي الفعلي وهو نوع من أنواع التقابل الدلالي الذي يكون بين مسندين ومتعلقين بهما، وهذان المتعلقان بالمسندين هما مفعولان متقابلان دلالياً (٣)، وقد استعمل الإمام الله التقابل الدلالي الذي بين من طريقه سلوك الحكام وسياستهم الجائرة التي كانوا سائرين عليها في أخذ الفيء وتحريم جلال الله وإحلال حرامه في جملة من التقابلات الدلالية في قوله: «... قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله)(٤).

٦- التداولية في العدول وهو مصطلح بلاغي يدل على ترك طريقة في صياغة الكلام إلى طريقة أخرى أحسن منها في التعبير عن المعنى، لتقريره في نفس السامع و تأكيده(٥)، ونجد أن العدول قد ورد في خطبة الإمام الله من الفعل الخطابي الخيري في الأفعال (الزموا، وتركوا، وأطاعوا، واستأثروا) وكلها جاءت بصيغة الفعل الماضي المسند إلى واو الجماعة وجاءت في وصف القوم وصفاتهم السلبية ثم انتقل له إلى الأسلوب الخطابي المباشر بضمير المتكلم (أنا) المصحوب باسم التفضيل الذي يرسم الأسلوب الخطابي والانجازي والتأثيري في قوله»الله: ... وأنا أحق من غيري» (٦)؛ فقد بين بأنه أحق وأولى من غيره بالقيام بتغيير الأوضاع الراهنة التي تنذر بالخطر على

(١) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، ج٣، ٤٠، شرح الكافي، الرضى الاستراباي: ج١، ٣٢٨.
(٢) مقتل الحسين، أبو مخنف الأسدي، ج١، ٣٣٥.
(٣) المصدر نفسه، ٣٣٥.
(٤) ينظر: التقابل الدلالي في نهج البلاغة، تغريد عبد فلحي، ١٢٤.
(٥) مقتل الحسين، أبو مخنف الأسدي، ج١، ٣٣٥.
(٦) ينظر: دلائل الأعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ١٣٤، الخصائص، ابن جني، ج٢، ٤٤٢.

الاسلام، فإنه الله المسؤول عن القيام بهذه المهمة لقريه من رسول الله ﷺ.

٧- المحاججة بالتوكيد بـ (قد) والفعل الماضي ليذكرهم الله بفعلهم السابق فقد بعثوا الكتب والرسل اليه في البيعة له وعدم الخذلان والتسليم معتمداً على ذلك بالفعل الانجازي المؤكد والمحقق والمصحوب باسمين قرعت مسامعهم حتى لا يبقى للناكر ذريعة فقد ذكر عليه السلام (كتبكم) وقد اتصل بكاف الخطاب التي تفيد المباشرة والتأثير الفعلي والمسند إلى (ميم الجماعة مما يوحي بكثرة الكتب التي وصلت اليه متتابعة من أماكن مختلفة لذا قال : (أتتني) ولم يقل (جاءتني)، ثم قال عليه السلام قدمت علي رسلكم فهي قدمت عليه ولم يقدم هو اليها فهي قدمت عليه بالتسليم والبيعة مؤكداً ذلك بـ (إن) وهي حرف توكيد لا يجتمع معه الشك فجمع الملك بين التذكير والتحذير والتنبيه في فعل انجازي وتأثيري بقوله عليه السلام».... وقد أتتني كتبكم، وقدمت على رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني، ولا تخذلوني» [١].

٨- التداولية باستعمال النفي وهو أسلوب لغوي خبري يؤدى بأدوات «وهو أسلوب نقض وإنكار لدفع ما يتردد في ذهن السامع» [٢]، بـ (لا) النافية والفعل المضارع الذي يدل على التجدد والحدوث في عدم الخذلان والتسليم في قوله عليه السلام: «... لا تسلموني ولا تخذلوني» [٣].

٩- التداولية باستعمال فعل الشرط وجوابه؛ الذي هو وقوع الشيء لوقوع غيره[٤]، فالجملة الشرطية تنبني على تألف جعل، وليس على تألف صيغ مفردة « فحرف الشرط يجيء لربط جملة بجملة»[٥]، فهو يعطي المرونة في الاختيار الصائب أي رسم صورة الفعل والنتيجة المترتبة عليه، وقد صاحب ذلك التصريح والتعريف يذكر اسمه واسعي والديه الله مع علم المخاطب بمعرفته؛ لكنه صرح الله باسم علي الملكة أبيه وباسم أمه (فاطمة) ليذكرهم بمكانتهما عند الرسول ﷺ ووصيته بهما فقد قال رسول الله : (حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا)[٦]، وقال : «فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني»[٧]. وقال: « يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة»[٨].

(١) مقتل الحسين، أبو مخنف الأسدي، ج١، ٣٣٥.
(٢) مقتل الحسين، أبو مخنف الأسدي، ج١، ٣٣٥.
(٣) نفس المصدر، ٣٣٥.
(٤) ينظر: أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، ج١، ٢٧٣.
(٥) مقتل الحسين، ج١، ٣٣٥.
(٦) المقتضب، أبو مخنف الأسدي، ج٢، ٤٦.
(٧) الأصول ابن السراج، ج١، ٤٤-٤٥.
(٨) سنن الترمذي، ج٥، ٦٥٨.

كما وردت التداولية بأسلوب الشرط في أنه لم يحقق المساواة التي يتميز بها إذا تقلد شؤون الحكم فسيجعل نفسه مع أنفسهم، وأهله مع أهليهم من دون أن يكون له أي امتياز عليهم في قوله: «... فإن أقمتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، وأنا الحسين، بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم، فلكم في أسوة»(١).

١٠- اعتمد الملك التداولية في الترغيب والترهيب في استعمال الشرط المصحوب بالنفي بـ (لم) الذي يفيد نفي الحاضر فينقله إلى معنى الماضي (٢)، مع مصاحبة الفعل المضارع ليقيم الحجة الدامغة عليهم، وخسروا بفعلهم سعادة الدنيا وثواب الآخرة، ولم يكتفوا بذلك بل نكثوا بيعة أخيه الحسن الله بعد قبوله الصلح الحقن دماء الأمة وبناء الجيش(٣)، ثم بايع أهل الكوفة مسلم بن عقيل الله ونقضوا البيعة وتركوه وحيداً فريداً وسلموه إلى خصومه في قوله : «.... وإن لم تفعلوا، ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي (مسلم)»(٤).

١١ - التداولية باستعمال القسم جملة اسمية بـ (لعمري) واللام الموطئة للقسم في (لقد) وهو من أساليب التوكيد فقد قال سيبويه أعلم أن القسم تأكيد لكلامك(٥)، والغرض من التوكيد إزالة الشك عن المخاطب بتوكيد الخبر في النفي والأثبات(٦)، وهنا ورد القسم في الأمور التي لا يتطرق اليها أي نوع من الشك مهما كانت نسبته في قوله : «... فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم»(٧)، فقد وضع الإمام (ع) بهذا الخطاب النقاط على الحروف، وفتح لهم منافذ النور، ودعاهم إلى الإصلاح الشامل الذي ينعمون في ضلاله(٨) .

١٢- بين الله النتيجة التي تنتظرهم في نكث البيعة التي بها نكثوا على أنفسهم، وجروا لها الماسي والآثام، وكانوا من المغرورين في قوله : «... فالمغرور من اغتر بكم فحظكم أخطأتم،

(١) صحيح البخاري، ج٥، ١٣٧٤.
(٢) ينظر: ينابيع المودة، القند وزي، ج ٤، ٢٦٩.
(٣) ينظر: أسرار العربية، أبو بركات الأنباري، ٢٩٢.
(٤) السقيفة، محمد رضا المظفر، ١٩.
(٥) ينظر: الإرشاد، الشيخ المفيد، ج٢، ١٥، وينظر: الحياة السياسي للأمام الحسن عليه السلام في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الثلاثة دراسة وتحليل جعفر مرتضى العاملي، ٢٠.
(٦) مقتل الحسين، أبو مخنف الأسدي، ج١، ٣٣٥.
(٧) كتاب سيبويه، ج٣، ١٢١.
(٨) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، ج٩، ٩٠.

ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه»[١].

١٣ - التهديد والوعيد المصحوبان بالألم والحرقة على المخاطبين على الرغم من مواقفهم المناوئة له، وهذا ينم عن الأخلاق الإسلامية التي يتمتع بها فهو القدوة في سلوكه وفي أفعاله، وفي أقوله، ويؤكد ذلك العبارات التي جاءت بصيغ الجمل الخيرية المباشرة المسندة إلى ضمير الخطاب (الكاف) وميم الجمع، والمصاحبة لأسلوب القصر ب (إنما) الذي يفيد التوكيد في قصر الخسارة عليهم حين ينكشون البيعة في قوله: «.... فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه[٢]".

١٤ - النتيجة النهائية التي جاءت بالفعل الانجازي التأثيري المتكون من الفعل المضارع وحرف السين الذي يدل على المستقبل القريب في تحقيق غنى الله تعالى عنهم. والاكتفاء بغيرهم في قوله عليه السلام: «.... وسيغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[٣].

١٥ - التداولية في براعة الاستهلال وهو «بدء الكلام، ويناظره في الشعر: المطلع وفي فن العزف على الناي: الافتتاحية، فتلك كلها بدايات كأنها تفتح السبيل لما يتلو»[٤]، وبدأ (الحسين) (ع) براعة الاستهلال بحمد الله والثناء عليه وحسن الختام بالتسليم في قوله: (...والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)[٥].

١٦- التداولية في حسن الختام الذي تمت به الفائدة وحسن السكوت عليه[٦]، وختم خطبته بالسلام؛ فهو ملك على الرغم من سياق الحال الذي هو عليه الذي ينبئ بالحرب والسبي فهو عليه السلام يدعو إلى السلم والسلام والتدير والتفكر فيما القاه عليه السلام على مسامعهم من أجل إقامة الحجة على الآخر حتى في أحنك الظروف في قوله (الحسين) ، «... وسيغني الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[٧].

---

(١) مقتل الحسين، أبو مخنف الأسدي، ج١، ٣٣٥.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام، دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، ج٣، ٨٣.

(٣) مقتل الحسين، أبو مخنف الأسدي، ج١، ٣٣٥.

(٤) ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، تحقيق وشرح، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، د.ت ، ٤٨.

(٥) مقتل الحسين، أبو مخنف الأسدي، ج١، ٣٣٥.

(٦) ينظر: الخطاب، أرسطو طاليس، ١٣٠.

(٧) مقتل الحسين، أبو مخنف الأسدي، ج١، ٣٣٥.

خاتمة ونتائج

ختاماً نحطّ الرحال بعد هذه السياحة في واقعة الطف والإمام (الحسين) ، لنستجلي ما عنَّ للبحث من نتائج وصل إليها في أثناء معالجته كلام الإمام بمنهجه التداولي، بما يمتلكه من آليّات وأدوات تحليل موسّعة تحيط بالخطاب، وترتشف عبقات مقاصده أو تقترب منها، ولا تدّعي الدراسة أنّها وقفت على المقاصد جميعها التي يحتويها المتن موضع الدراسة، وإنّما تذكر ما بدا لها بعد جهد من التأمّل ودقّة في العمل..

- إن خطاب الأمام (الحسين) ، كان بأفعاله الإنجازية موضحا ومعبرا ومعلنا عن هدفه من الخروج بوجه الظلم من خلال الأفعال الكلامية.

- حملت خطبه بعدا تربويا واحتجاجيا لإقناع المتلقين على اختلاف طبقاتهم بسوء حالهم وابتعادهم عن الطريق القويم من خلال الأفعال الكلامية الطلبيات والوعديات.. إن المحتوى القضوي للأفعال الكلامية تنوع بين تحذير وذم ونصح والتذكير بمكانته ومنزلته الاجتماعية والدينية.

- استعمل الإمام (الحسين) ، الله الاستلزام الخطابي فالمتلقي يصل إلى مقاصد الخطاب ودلالته وأهميته. ان الخطاب (الحسين) (ع) معيناً لا ينضب لجميع محاور المنهج التداولي، ورأينا في النموذج الواحد كيف تتجلّى فيه كلّ الأبعاد التداوليّة، وقد عمد البحث إلى تكرار أكثر من مثال ومناقشتها في مواطن مختلفة من زوايا مختلفة، لنجلّي فكرة مفادها: أنّ الخطاب (الحسين) ، خطاب مركّز ومختزل، يفيض بالمعاني الضمنيّة والصريحة التي تنهض لتكون بيئة خصبة لمختلف أنواع التحليل والقراءات التي تتميّز بها محاور المنهج التداولي.

- إنّ القصد في الخطاب (الحسين) ، هو الموجّه الأساس للأفعال الكلاميّة، ويبدو ذلك واضحاً في الوضع اللغوي الذي تجلّيه الدلالة الزمنيّة التي دبجت بها الأفعال، وما تحيل إليه أدوات الربط.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.
- واقعة الطف، لأبي مخنف لوط بن يحيى الازدي الغامدي الكوفي ت ١٥٨هـ، تحقيق: الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٣٦٧هـ.

المراجع:

١- الإرشاد، الشيخ المفيد، المطبعة الحيدرية النجف، ١٩٦٢.
٢- أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، دار الأرقم بن الأرقم، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩.
٣- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤٣٠هـ-١٩٨٣م.
٤- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ط١، دار المعرفة الجديدة، مصر، ٢٠٠٢.
٥- الأفق التداولي، نظريّة المعنى والسياق في الممارسة التراثيّة العربيّة، مقبول إدريس، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، ٢٠١١.
٦- البلارذي، أنساب الأشراف، pdf-www.almostafa.com.
٧- بلاغة الأقناع قراءة حجاجيه في خطبة الإمام (الحسين)، رائد حاكم الكعبي، ديوان الوقف الشيعي العتبة العباسية المقدسة- مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات-العراق، ٢٠١٤.
٨- التداوليّات وتحليل الخطاب، حمداوي، جميل، ط١، دار الألوكة، ٢٠١٥.
٩- التداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللساني، مسعود صحراوي، ط١، دار الطليعة- بيروت لبنان، ٢٠١٠.
١٠- التقابل الدلالي في نهج البلاغة، تغريد عبد فلحي، مكتب الروضة الحيدرية.
١١- (الحسين) ، بن علي (ع) والنظام السياسي في الإسلام بين البستمولوجيا والمثال، طالب ياسر، دار ومكتبة البصائر، بيروت- لبنان، ٢٠١٠م.
١٢- حياة الإمام (الحسين) ، ابن علي ، باقر شريف القرشي، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية، كربلاء المقدسة، ط٢ ، ١٤٩هـ.

١٣- الحياة السياسي للأمام الحسن عليه السلام في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الثلاثة دراسة وتحليل جعفر مرتضى العاملي، ط٢، المركز الإسلامي للدراسات.

١٤- الخطاب الحسيني في معركة الطف، عبد الكاظم محسن الياسري، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ط١، كربلاء، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٥- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٢١.

١٦- في البرجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياق، علي محمود حجي الصراف، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، ط١، ٢٠١٠.

١٧- في اللسانيّات التداوليّة مع محاولة تأصيليّة في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، بيت النشر الحكمة للنشر والتوزيع- ٢٠١٩.

١٨- في رحاب الإمام (الحسين) ، (ع) يوم عاشوراء، محمد مهدي الآصفي، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (ع) مطبعة ليلى، ط١، ١٤٧هـ.

١٩- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وأن ريبول، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف: عز الدين المجذوب، مرا: خالد ميلاد، دار سيناترا، تونس، د.ط، ٢٠١٠.

٢٠- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، دار صادر- بيروت.

٢١- مختصر تاريخ العرب، مير سيد علي، ترجمة رياض رأفت، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٣٨م.

٢٢- مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هاينه مان وديتر فيهجر، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة- مصر، ط١، ٢٠٠٤.

٢٣- المصطلحات الأساسيّة في لسانيّات النصّ وتحليل الخطاب، نعمان بوقرة، ط١، عالم الكتب الحديث- الأردن.

٢٤- مقدّمة في علمي الدلالة والتخاطب: محمد محمد يونس علي، ط١، دار الكتاب الجديد، لبنان.

٢٥- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٤.

٢٦- الوثائق الرسمية لثورة الإمام (الحسين) ، ، عبد الكريم القز ويني، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة (الحسين) ،ية المقدسة، ط٧، كربلاء، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.